العجائبية في سرد الرحالة

دراسة مقارنة

د/ رحاب الكيلاني- جامعة زايد

أستاذ مساعد في جامعة زايد، دكتوراه في النقد والأدب

د/ غادة الكيلاني- جامعة الإمارات

محاضر في جامعة الإمارات، دكتوراه تربية ومناهج لغة إنجليزية وماجستير في الأدب الإنجليزي، نقد وترجمة.

المستخلص:

يزخر أدب الرحلات بالعجائب والغرائب التي سجّلها الرحالة في رحلاتهم المختلفة؛ إذ يحرص الرحالة على المزج بين الواقع والخيال، والحقيقة والأسطورة، وعلى ذكر العجائبي من خلال عدة عناصر مثل الشخصية العجائبية، والوصف العجائبي، والحدث العجائبي، فيشتغلون على إبراز الغريب من كل ما يقابلهم في رحلاتهم: العادات والتقاليد، والشخصيات المختلفة في البلاد التي يزورونها والمناطق التي يحطون فيها خلال رحلاتهم.

ولا شك أن أدب الرحلة تعرّض في كثير من الأحيان لدراسة الإنسان وسلوكياته والنظم والأنساق الاجتماعية التي يعيش فيها، وقد عُني الرحالة العرب بدراسة هذه الظواهر العجائبية بشكل لا يخلو من إثارة الاندهاش وإظهاره، وذلك قبل تحديد مفهوم الأنثروبولوجيا ، وقد امتزجت كتاباتهم حول الأنثروبولوجيا بالعجائبية؛ والجدير بالذكر أن بعض كتّاب أدب الرحلات حرصوا على اختيار اسم لمؤلفاتهم يوضح وجود العجائبي في الرحلات، مثل رحلة ابن بطوطة التي حملت اسم "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"؛ أو رحلة أنيس منصور التي سماها "أعجب الرحلات في التاريخ".

وفي هذا الإطار يتناول هذا البحث دراسة العجائبي عند الرحالة من منظور أنثروبولوجي، مع إلقاء الضوء على العناصر العجائبية في أدب الرحلات، وذكر بعض النماذج من كتابات الرحالة العرب أمثال ابن بطوطة والمسعودي وابن فضلان بالإضافة للرحالة الغربيين أمثال ماركوبولو وكريستوفر كولومبوس وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: العجائبي، أدب الرحلات، الأنثروبولوجيا، الشخصية العجائبية، الوصف العجائبي.

ABSTRACT:

This study examines the element of the **miraculous** in travel literature from a comparative perspective, highlighting the differences between Arab and Western travelers. The research highlights how Arab travelers' texts were characterized by their focus on the religious and cultural character associated with their beliefs and identity, while Western travelers' texts were characterized by their exploratory and colonial goals, which were reflected in their miraculous portrayal of new societies and places. The research shows the main elements of the miraculous such as the miraculous *description, the miraculous event, and the miraculous character* in the writings of famous travelers such as **Ibn Battuta, Al-Masoudi, and Ibn Fadlan** from the Arab side,**and Marco Polo, Christopher Columbus, and Hernán Cortés** from the Western side.

The research also explores the anthropological dimension of the miraculous in travel literature, highlighting how Arab and Western travelers documented the customs and traditions of different peoples in a way that combines fact and fiction. Through this comparison, the study shows the profound influence of cultural and religious identity in shaping travelers' perceptions of the miraculous, and how this contributed to the creation of rich literary narratives that combine excitement, wonder, and knowledge.

Keywords: Miraculous, travel literature, comparative study, anthropology, miraculous description, miraculous character.

المقدمة :

تعدّ الرحلة من أقدم الفنون الأدبية التي تجمع بين الواقعية والخيال، حيث يُقدّم الرحّالة من خلالها سردًا شخصيًا لتجاربهم في الانتقال بين أماكن وأزمنة مختلفة. ويهتم الرحّالة بتسجيل ما يرونه ويختبرونه في تلك الأماكن، دون تزييف أو تحريف للحقائق. لكن في كثير من الأحيان، يتجاوز أدب الرحلة الإطار التوثيقي البسيط إلى السرد العجائبي، خاصة عند مصادفة ظاهرة تثير الاندهاش، دون وجود تفسير علمي لها، الأمر الذي يخلق على اختلاق التفسيرات لها، فيتداخل الواقعي بالخيالي، الأمر الذي يؤدي إلى دمج الرحّالة الواقع بالأسطورة، ويخلقون صورة للعالم مليئة بالغرائب. لذلك أصبح أدب الرحلة مجالًا أدبيًا غنيًا بالعناصر المتنوعة، مما يدفع إلى أهمية دراسة السرد العجائبي كأحد أهم مكوناته التي تضيف له طابعًا فنيًّا خاصًا.

وفي حين أن الرحالة العرب كانوا يسافرون لأغراض دينية وتجارية وثقافية، حيث كانت رحلاتهم غالبًا تهدف إلى الحج أو التجارة أو اكتشاف المدن الإسلامية؛ إذ كانت الهوية الدينية جزءًا أساسيًا من رحلاتهم. وذلك على النحو الذي كانت تعدّ فيه هذه الرحلات، استكشافًا دينيًا أو روحانيًا، ويصفون الغرائب من منطلق إيماني وثقافي، حيث كانت العجائبية تمثل ظواهر تتعلق بإرادة الله وقوته. بالإضافة إلى ذلك، كانت الرحلات العربية تهدف إلى التبادل الثقافي والتفاعل مع العالم الإسلامي والأراضي المقدسة، مما شكل رؤية متكاملة حول الدين والتجارة والعادات.

أما الرحالة الغربيين مثل ماركو بولو وكريستوفر كولومبوس، فقد كانت رحلاتهم تهدف في الغالب إلى التوسع الاستعماري وفتح طرق تجارية جديدة .هؤلاء الرحالة كانوا يمثلون الهوية الاستعمارية الغربية، التي كانت تسعى إلى الهيمنة على الأراضي التي اكتشفوها، ليس فقط للبحث عن الثراء التجاري، ولكن أيضًا من أجل نشر الديانة المسيحية وتوسيع النفوذ الغربي. وعليه، كانت الغرائب التي وصفها هؤلاء الرحالة تتعلق بالهيمنة الثقافية على الشعوب الأصلية أو استعمار الأراضي الجديدة. بالنسبة لهم، كانت العجائبية جزءًا من مفاهيم الغزو والـاستكشاف التي تعزز من رؤية الغرب للعالم، وترسخ هيمنته على الآخر.

لذلك، يهدف هذا البحث إلى مقارنة أهداف الرحلات بين الرحالة العرب والرحالة الغربيين، وكيف أن هذه الأهداف أثرت على تصورهم للعجائبية والآخر، والهوية الثقافية والدينية التي شكلت هذه الرحلات. كيف أن الهوية الدينية للرحالة العرب في أفق الإيمان والعقيدة، والهوية الاستعمارية للغرب في سياق الهيمنة الثقافية والاقتصادية، قد شكلت تمثيلاتهم للأماكن والشعوب، وأثرت في الطريقة التي وصّفوا بها الغرائب والعجائبية في رحلاتهم.

- **أهمية الدراسة**

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تدرس أحد أهم عناصر أدب الرحلات، وهو العجائبية، التي كانت عنصرًا محوريًا في سرديات الرحالة عبر العصور. فقد ارتبط أدب الرحلات بالعجائبية من خلال رصد الغريب والعجيب الذي يراه الرحّالة في الأماكن التي يزورونها. هذه العجائبية تشكل عنصر جذب قوي للمتلقي الذي يتطلع لاكتشاف كل ما هو غريب وغير مألوف في المدن والمناطق التي زارها الرحالة، خاصة إذا كانت تلك الغرائب تتنوع بين الثقافات والعادات و الظواهر الطبيعية التي كانت بعيدة عن المفهوم المعتاد للعالم الغربي أو الشرقي. تزداد أهمية هذه الدراسة لأنها تستعرض تأثير الهوية سواء كانت دينية أو استعمارية في تقديم العجائبية، فبينما كان الرحالة العرب يصفون العجائب من منطلق ديني وثقافي، كان الرحالة الغربيون يمزجون بين الاستكشاف والاستعمار في سعيهم لتفسير ما يواجهونه

من غريب لذا، تقدم الدراسة مقارنة بين كيف أن الرحالة العرب و الرحالة الغربيين شكلوا العجائبية في كتاباتهم، مع الإشارة إلى تأثير أهدافهم الثقافية والدينية على تصورهم للعالم الآخر.

- **أهداف الدراسة**

تهدف الدراسة إلى استكشاف أشكال وعناصر العجائبية في أدب الرحلة، مع التركيز على كيفية توظيف الرحّالة لهذه العجائبية في سرد رحلاتهم. كما تسعى الدراسة إلى إلقاء الضوء على دور العجائبية في المزج بين الواقع والخيال في الكتابات الرحلية، وذلك لجذب القراء وإثارة الفضول لديهم حول الغرائب والأماكن الجديدة التي يزورونها. إضافة إلى ذلك، تركز الدراسة على الجانب الأنثروبولوجي في أدب الرحلة، حيث يتم تقديم وصف الغريب والعجيب من الأحداث والعادات والنظم الاجتماعية في البلدان التي زارها الرحالة، وكيف يعكس هذا المزج بين الواقع والخيال نظرة الرحّالة إلى الثقافات الأخرى وأثرها في تصوراتهم الثقافية.

من جانب آخر، تستعرض الدراسة الفرق بين أهداف الرحلات لدى الرحالة العرب والرحالة الغربيين، وكيف أن الهوية الثقافية والدينية كان لها تأثير كبير في تحديد تلك الأهداف. فقد كانت رحلات الرحّالة العرب غالبًا ذات طابع ديني، حيث كان الهدف الأساسي هو الرحلة الروحية والحج أو التجارة في أماكن مرتبطة بالإسلام. ونتيجة لذلك، كانت العجائبية تُرصد من منظور ديني وإيماني، مثلما في رحلة ابن بطوطة، حيث كان يشاهد الغرائب من منطلق عقائدي. أما بالنسبة للرحّالة الغربيين، مثل ماركو بولو وكريستوفر كولومبوس، فقد كانت الرحلات في غالبها استكشافية واستعمارية، تهدف إلى فتح الطرق التجارية واكتشاف عالم جديد .كانت الهوية الاستعمارية الغربية تركز على السيطرة الثقافية والاقتصادية، وهو ما أثر في نظرتهم للعجائبية وجعلها تميل إلى الاستعلاء على الآخر.

من خلال هذه المقارنة، تقدم الدراسة فهمًا أعمق لكيفية تأثير الهوية الثقافية والدينية لكل من الرحالة العرب والرحالة الغربيين في تحديد أهدافهم ونظرتهم للغريب والعجيب في رحلاتهم، وكيف أن هذه النظرة شكلت صورًا ثقافية مختلفة للعالم والمجتمعات التي اكتشفوها.

- **العجائبي: المصطلح، والمفهوم.**

يعدّ مصطلح العجائبي مصطلحا إشكاليا خاصة متى تعلق الأمر بتحديد مفهومه وضبطه ، وتدبر آلياته وسبل توظيفه في مسارات الحكي المتباينة ، ومردّ ذلك تعدد المفردات التي يمكن أن تتماهى معه وتتشابه من قبيل: الغريب والعجيب والأسطوريّ والخرافيّ وغيرها، إضافة إلى أنّ العجيب يمتد إلى مساحات غائرة في عوالم النفس المولعة بكل جديد وما هو غير مألوف، وهو ما يوسع مفهوم العجيب ليشمل كل شيء موجود في العمل ولم يعتدْ الإنسان على رؤيتها، فتبدو له خارقة ومحيرة وعجيبة (١).

والعجائبي من الناحية اللغوية هو جمع عجيب، وقد ورد في لسان العرب أن العجب هو ما يرد عليك مع قلة اعتياده، وأصل العجب في اللغة أن المرء إذا رأى شيئا ينكره قال: عجبت من كذا، فالعجب هو النظر إلى ما هو غير مألوف وغير معتاد (٢). ومن ذلك يتضح أنّ العجائبي لغويًّا فحواه الإنكار والخروج عن المألوف، وقد عرّفه "تودوروف" بأنه التردد الذي يشعر به كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية عندما يواجه حدثًا فوق الطبيعي حسب الظاهر (٣).

---

١) حسين علام: العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٣٤.
٢) ابن منظور: لسان العرب، مج١، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه، ص ٥٨٠.
٣) تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بو علام، ط١، دار الكلام، المغرب، ١٩٩٣، ص ١٨.

وغني عن البيان أننه يمكننا أن نجد اختلافًا واضحًا في مفهوم العجائبي وطريقة صياغته في النصوص الأدبية وأساليب توظيفه، فهناك بعض القصص والروايات تستلهم العجائبي في كافة أجزائها، مثل القصص الأسطورية كألف ليلة وليلة، أو القصص ذات الطابع الشعبي، ويندرج تحت هذا السياق كذلك رسالة الغفران للمعري، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد. بينما نجد بعض الفنون السردية توظيف العجائبي في بعض الأجزاء فقط مثل فن الرحلة، ويمكن اعتبار العجائبي أحد أجزاء المظهر التركيبي للحكاية، لأنه يدخل في بنية أحد الحكايات أو الروايات لتوظيفه كعنصر جمالي، وذلك مثلما توظف الصور البلاغية في النصوص الأدبية بشكل عام (١).

- **توظيف العجائبي في أدب الرحلات:**

يحفل أدب الرحلات بموروث تمتزج فيه الحقيقة بالخيال، والواقع بالخرافات والأساطير، وهذ ما جعله مجالًا خصبًا لدراسة عنصر العجائبي، فقد تميز السرد الرحلي بالتنوع والشمولية في أشكال القصص وعناصرها الفنية، فأدب الرحلة قد شكّل أحد أهم روافد العجائبية بالنظر إلى أن كثيرًا من النصوص تقوم فيه على الإغراب والتعجيب، فتمتزج المعلومات الحقيقية بالمغامرات، ونجد تنوعا بين التجربة والحكمة والسحر والخيال والعجائب والغرائب (٢). ويعدّ المزج بين الواقع والخيال أحد أبرز العناصر التي تجذب انتباه المتلقي، إذ تتولد لديه مشاعر الحيرة والتساؤل إزاء هذه التناقضات، فيتردد المتلقي بين تفسير الوقائع والأحداث، هل يتجه للتفسير الواقعي ومن ثم التقبل والتصديق، أم استدعاء المخيلة وحملها على تفسير ما هو خيالي، وقد أشار "تودروف" إلى وجود هذا التناقض بين الواقع والخيال في أدب الرحلات إذ قال أنّ البطل يشعر بصورة متواصلة بوجود تناقض بين عالمين أحدهما واقعي والآخر عجائبي، وهو بنفسه يندهش أمام الأشياء الخارقة المحيطة به (٣).

- عناصر العجائبيّ في أدب الرحلات:

تنوعت عناصر العجائبي في أدب الرحلة فمنها الشخصية العجائبية، والوصف العجيب، والحدث العجائبي وكذلك العادات الغريبة والأمكنة العجائبية. ولا شك أن الاعتماد على العجائبي في كتابة بعض نصوص الرحلات يمكن أن يمثل بعدًا جماليا، فهو يساهم في إثارة مخيلة المتلقي وتحرير خياله، ولذلك اتجه الكثير من كتاب الرحلات إلى استخدام هذا العنصر في رحلاتهم؛ نظرًا لوظيفته الجمالية التي تساعد على تلقي النصوص بصورة غير معتادة أو نمطية (٤).

١- الوصف العجائبي:

يعد الخطاب الوصفي أحد أهم العناصر الأساسية التي يستند إليها أدب الرحلة بجانب الخطاب الحواري والخطاب السرديّ؛ إذ تشكل هذه العناصر البناء الفني للرحلة وتميُّز الرحالة بالدقة في وصفه، وبالأسلوب الأدبي الرفيع، كما امتازت أوصافهم بالطابع العجائبي في كثير من الحالات، حتى وإن لم يكن الشيء الموصوف خارجًا عن المعتاد والمألوف، فإنّ الرحالة – لاسيما الأدباء منهم- يستطيعون نقل المألوف إلى غير المألوف، فهذا الوصف يجذب القارئ ويؤثر فيه. ولعله من أبرز الأمثلة على ذلك وصف ابن بطوطة لقبّة الصخرة؛ إذ يقول: " إنها من أعجب المباني وأغربها شكلا وأتقنها، وقد توفر

---

١) حسين علام: العجائبي في الأدب، ص ٣٧.
٢) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط ٢، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣.
٣) تودورف: الأدب العجائبي، ص ٤٩
٤) مسعود بودوخة: الملمح العجائبي في أدب الرحلات، مجلة الاستهلال، المغرب، ع ١٠، ٢٠١٦م، ص ٩.

حظها من المحاسن، فأخذت من كل البدائع، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام محكم الصنعة، وفي باطنها وظاهرها من أنواع الزواقة، ورائق الصنعة ما يعجز عنه الوصف (١). فعلى الرغم من أن قبة الصخرة هي شيء واقعي وحقيقي إلا أن وصف ابن بطوطة أضفى عليها الطابع العجائبي، وقد تميز ابن بطوطة بأسلوبه الجميل في الوصف ونقل الغرائب وتبعا لذلك فقد اعتمد في كثير من الأحيان على المبالغة حتى يمسي الواقع ضربًا من الخيال.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ما قاله أنيس منصور عن مدينة هاواي: " لم تطاوعني نفسي أن أشعر ولو للحظة أنني سأغادر هذه البلاد السعيدة: البحر في لون البنفسج، والأرض في لون المانجو، والأشجار متراخية وكأنها لا تزال نائمة، الموج ناعم كالشفاة.. (٢).

٢- الشخصية العجائبية:

تختلف الشخصيات في أدب الرحلات عن الشخصيات في مختلف الفنون السردية الأخرى، ففي أدب الرحلة تكون الشخصيات واقعية ومتعددة، ولا تتخذ مسارًا معينًا، إنما تأتي بشكل عارض حسب الأماكن التي يزورها الرحالة، ويعد الرحالة هو الشخصية الرئيسية التي تتخذ مسارًا محددًا، يبدأ من انطلاق الرحلة حتى نهايتها، ويكون حاضرًا في معظم أجزاء الرحلة إلا في حين التوقف لذكر بعض القصص التاريخية أو الدينية للمكان.

ويتنوع حضور الشخصيات العجائبية في الرحلة، فنجد منهم السحرة والمشعوذين، وكذلك كرامات الأولياء الخارقة، والشخصيات المقدسة لدى بعض الشعوب وفي بعض الثقافات، ومن الشخصيات العجائبية في رحلة ابن بطوطة، هي قصة السحرة الذين لقيهم في مجلس أحد السادة، والذي دعاه إلى مجلسه وأمر الساحران أن يرياه من العجائب ما لم يره، ويقول ابن بطوطة: " تربع أحدهما، وارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء متربعًا، فعجبت منه ونالني الوهم، فوقعت أرضًا، فأمر السلطان بدواء من عنده فأفقت ووجدته على حاله متربعًا" (٣).

وإلى جانب السحرة نجد إضافة إلى ذلك أنّ الشخصية العجائبية قد تكون ممثلة في أحد الأشخاص المقدسين عند بعض الشعوب، والتي أخذت مكانة رفيعة وأصبح تقديسهم واجبًا، مثل إمبراطور اليابان، والذي كان يجب على أبناء شعبه تقديسه؛ لأنه ابن الشمس كما زعموا بحكم دينهم، ويذكر أنيس منصور أن الإمبراطور كان محرمًا على الجميع لا يلمسه أحد ولا يسلم عليه أحد، والناس لا يرونه فهم يخشونه دائمًا، وعندما يمر قطار الإمبراطور على المحطات فإن البيوت المحيطة كلها تغلق نوافذها، ويجب ألا يكون في العاصمة أي بيت أعلى من قصر الإمبراطور، الإمبراطور يرتدي ملابسه مرة واحدة فقط ثم ينزعها ويهديها للمخلصين له (٤).

٣- الحدث العجائبي:

تتميز الرحلة بالطابع التسلسلي للأحداث، ونجد من هذه الأحداث ما هو غريب وعجيب، ومن موضوعات السرد العجائبي ذكر غرائب الشعوب بالنسبة لعاداتهم وتقاليدهم، وكذلك الأساطير المتعلقة ببعض المباني أو الأماكن، مثل أسطورة الجسر الذي يربط الهند بسيلان، وقد ذكرها أنيس منصور إذ يقول إنّ المسافة التي تقطعها الطائرات بين مارس وكولومبو كانت الأساطير تتحدث عنها وعن وجود

---

١) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٦٠.
٢) أنيس منصور: حول العالم في ٢٠٠ يوم، ط ٨، دار نهضة مصر، ٢٠١٨، ص ٥٦٣.
٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ١٥٠.
٤) أنيس منصور: حول العالم في ٢٠٠ يوم، ص ٤٢٠.

جسر أسطوري عبر المحيط الهندي، وهو جسر أقامته القرود بأن تماسكت مع بعضها بعضًا حتى قام أحد الأمراء بالعبور على ظهر القرود من الهند إلى سيلان (١). ومعظم هذه الأخبار والأحداث غير قابلة للتصديق، ولكن الرّحّالة يذكرها فيما يذكر للتنويع والتجديد في نمط الرحلة بين الواقع والخيال لشد انتباه المتلقي.

العجائبي عند الرحالة من منظور أنثروبولوجي:

تعد الأنثروبولوجيا أحد فروع المعرفة، وترتبط بشكل وثيق بالمجتمع الإنساني، وهي علم يدرس الإنسان بوصفه كائنًا عضويًا يعيش في مجتمع تسوده نظم ونسق اجتماعية في ثقافة معينة، كما أنه علم يدرس سلوك الإنسان وأعماله، وعلى الرغم من أن الأنثروبولوجيا بمفهومها الحديث ظهرت في أوروبا في عصر النهضة إلا أن العرب والمسلمين كان لهم دور كبير في تطور هذا العلم لاسيما من خلال ما كتبه الرحالة وعلماء المسلمين، فقد استطاع المسلمون ان يجوبوا العالم شرقًا وغربًا ويصفوا أجزاء من أوروبا ومناطق القوقاز، والشرق الأقصى، وأفريقيا والهند، ووصفوا الغريب والعجيب في هذه البلدان وتركوا كثيرًا من الكتابات التي اعتمدت على العجائبي بوصفه أحد العناصر الجمالية، ومنهم ابن بطوطة الذي جال العالم في ثلاث رحلات زار فيها أفريقيا وبلاد العرب والشرق الأقصى، ودون ملاحظاته التي أصبحت مرجعًا مهمًا للجغرافيين وعلماء الأنثروبولوجيا والمؤرخين، ومن أشهر الرحالة المسلمين أيضا المقدسي الذي يعد مثالًا للرحالة الإثنوغرافي إذ مزج بين الرحلة الإثنوغرافيا في مؤلفاته التي تضم التقاسيم الحسنة للأقاليم، كما ساهم اليعقوبي في تأسيس علم الإنسان رغم غياب مصطلح الأنثروبولوجيا في أيامه. (٢)

إن الرحالة أسهموا بفاعلية في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي تقع داخل الاهتمامات الأنثروبولوجية، لاسيما التنوع الثقافي والحضاري بين الشعوب، سواء بدراسة خصائص حضارة بذاتها أو بالمقارنة مع حضارة أخرى، مستعملين في ذلك أدوات الملاحظة والجمع والمشاركة وغيرها، وقد برزت خصائص الكتابة الأنثروبولوجية عند الرحالة العرب ومنهم ابن بطوطة، مثل وصفه لحياة أهل السودان اليومية، وأنماط سلوكهم، وتقاليدهم، إذ يقول: " فمن أفعالهم قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح في شيء من الظلم، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فالمسافر لا يخاف فيها من سارق ولا غاصب، ومن أفعالهم عدم تعرضهم لمال من يموت في بلادهم ولو كان القناطير المقنطرة، وإنما يتركونه بيد أحد الثقات حتى يأخذه مستحقه(٣).

وإذا كانت الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الغريب والبعيد والمختلف، وذلك في إطار جوّ حافل بالمغامرات، فإن ذلك ما فعله ابن بطوطة في رحلته التي اكتشف فيها الأقاليم والأجناس البشرية المختلفة، ومن أهم مشاهداته المليئة بالغرائب والتي تتعلق بالأنثروبولوجيا هي زيارته إلى جبل قاسيون بدمشق، وأطلق عليه أنه المكان الذي شهد مقتل هابيل على يد أخيه قابيل، فقد ذكر مؤرخو دمشق عدد كبير من الأنبياء والشهداء الذين دفنوا بين منحدراته، ولهذا يعدونه جبلًا مباركًا، ومن المشاهدات العجيبة لابن بطوطة كذلك الجزر العجيبة التي وصفها بأنها عجيبة الشكل، وتضم نحو ألفي جزيرة صغيرة، وأهلها مسلمون، ويعتمدون على صيد الأسماك لخلّو هذه الجزر من المناطق الزراعية، وذكر طريقة طهي

---

١) المرجع السابق، ص ١٦١.

٢) زوليخة مجاهدي: ملامح الأنثروبولوجيا الاجتماعية والدينية في أدب الرحلة، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج ١٦، ع٢، ٢٠٢٠م، ص ٨٢٣- ٨٤١.

٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ٢٨٢.

الأسماك عندهم، إذ يقطع إلى أربع قطع، ويطبخ طبخًا خفيفًا، ثم يعلق للدخان، حتى يصبح يابسًا فيأكلوه، ويصدرون هذا النوع للبلاد المجاورة مثل: الهند والصين. (١)

كما رصد ابن جبير بعض ملامح الأنثروبولوجيا الاجتماعية في رحلته فقام بوصف العادات والتقاليد واللباس والاحتفالات والأطعمة والأشربة في البلاد التي زارها، مع تحليل هذه السلوكيات والقيم التي تعد بمثابة قاعدة لتأسيس ملامح علم الأنثروبولوجيا، ومن ذلك أنه ذكر بعض معتقدات المصريين عن الأهرامات بأنها قبور لقوم عاد ربما؟!، ومنها أنه ذكر صفات أهل العراق فقال: أما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويزدرون الغرباء، ويذهبون بنفسهم عجب وكبرياء، ويظهرون لمن دونهم الإباء، كما ذكر بعض الصفات التي أنكرها في أهل ميناء عيذاب على البحر الأحمر بجنوب مصر، فوصفهم بأنهم فرقة أضل من الأنعام سبيلًا، لا دين لهم سوى كلمة التوحيد، بسبب سوء معاملتهم للحجاج، إذ ذكر أن الدخول على عيذاب من أعظم المكاره التي تحف الطريق إلى مكة (٢).

أما عن الرحالة الغربيين في القرن السادس عشر والسابع عشر فكانت أغلبها ضمنا أو صراحة تتم باسم التجارة، وكان الدافع وراء الربح هو السمة الغالبة، وفي أغلب رواياتهم المنشورة كان السفر والمغامرات الفروسية بهدف البحث عن مصادر للتوسع التجاري. ومن ناحية أخرى لم يكن المستكشفون مهتمين دوما بالكتابة وبأدب الرحلة بل بوجود ممرات جغرافية مثل همفري جيلبرت في خطابه اكتشاف... كاتالايا (1576). ومن ناحية أخرى فقد ذهب العالم توماس هاريوت والفنان جون وايت إلى أمريكا في عام (1585) كجزء من رحلة استكشافية في محاولة لاستطان فرجينيا، وأصبح مؤلفه تقرير موجز وحقيقي عن أرض فرجينيا المستكشفة وأكثر كتب الرحلات تأثيرا في إنجلترا الإليزابيثية. ورغم أن كتابته وصفت بدقة مدهجة عجائب السلع والقبائل الأصلية (ريوك)، وخريطتين للمنطقة بالإضافة لنقوش حيوية من المنطقة. نقل مؤلفه كيف على المستعمرين الإنجليز أن يركزوا على الزراعة الشاقة للأرض والعلاقة الشائكة للسكان الأصليين الذين سيحلون محلهم في ما بعد (٣).

بينما كان للقراصنة الذين تم "شيطنتهم" باعتبارهم منشقين حضور كبير في إنشاء أدب الرحلات المبكر كما لعبوا دورا مركزيا وغامضا في إنشاء الإمبراطورية البريطانية من خلال كتاباتهم المليئة بكل ما هو عجيب في كل الشطآن التي قاموا بزيارتها. ومن أقدم كتابات الرحلات الإنجليزية التي تتسم باستراتيجيات بلاغية معقدة توازن بين المعروف والمجهول وبين الاقناع والترفيه كانت لا تخلو من مشاكل حادة تتعلق بالأصالة والمصداقية أمثال الأساطير التي نقلها الرحالة للهند مثل الأقزام في الهند الذي يبلغ طول الرجل فيهم أقداما، ذوي الآذان المثنية صفراء وزرقاء السوداء. وصور عجائب الطبيعة التي صورت القرنفل، والفيلة والعجائب المعمارية في الصين والمعابد المصرية. (٤).

---

١) العربي بوحسون: رحلات ابن بطوطة، وغرائب مشاهداته- نموذج لفكر أنثروبولوجي إسلامي، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مج ١١، ع ١، ص ١٠٢- ١١٨.

٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٤٨، ١٢٨.

3 (Pratt, Mary Louise. *Imperial eyes: Travel writing and transculturation*. routledge, 2007

4 (Pratt, Mary Louise. *Imperial eyes: Travel writing and transculturation*. routledge, 2007.

نماذج من العجائبية عند الرحالة

١- العجائبية في رحلة ابن بطوطة:

ومن الحكايات العجيبة التي قالها ابن بطوطة حكاية حسن المجنون، ومن أهم أحداثها لقاؤه بالفقير الصالح الذي أخبره أن أمه تبكيه طوال الوقت، وأنها تشتاق لرؤيته، وأكد له حسن أنه أيضًا يريد رؤيتها، فتواعدا أن يتقابلا بالليلة المقبلة، فلما حضر حسن أمره الفقير الصالح أن يغمض عينيه، ويمسك بثوبه، فاستجاب حسن وفعل ذلك، وبعد ساعة وجد حسن نفسه أمام دار أمه فدخل إليها، ويبدو أن الرحالة ابن بطوطة كان مصدقًا لما يرويه وما استرسله في سرد باقي الأحداث، وهذه السمات تعطي الشخصية البعد العجائبي، وتعطي الحدث المنجز صفة الحدث العجائبي. ([1])

ويمكن تحليل مظاهر العجائبية في هذا النص كما يلي:

١- اللقاء بالفقير الصالح، ويحمل هذا اللقاء العديد من السمات العجائبية والتي تتمثل في:

- الشخصية الغامضة: يتميز الفقير الصالح بقدرات خارقة تمكنه من نقل حسن لمسافات بعيدة في لحظة، وهذه القدرات تجعله شخصية غامضة ومثيرة للاهتمام.
- الوعد الغريب: يعد الفقير الصالح حسن بإعادة لم شمله بأمه في ليلة واحدة، وهو وعد يبدو مستحيلاً في ذلك الزمن.

٢- الانتقال السريع، وتتجلى العجائبية من خلال تقنية (الانتقال الفوري)؛ إذ يتم نقل حسن من مكان إلى آخر في لحظة، دون استخدام أي وسيلة نقل معروفة، فضلًا عن غياب التفسير العلمي لهذا النقل، فالنص لا يقدم أي تفسير علمي أو منطقي لهذه القدرة على الانتقال الفوري ما يزيد من طابع العجائبية.

٣- تحقيق الرغبة والأمنية؛ إذ يتم تحقيق أمنية حسن في رؤية أمه في نفس الليلة التي طلب فيها ذلك، وهذا الأمر يعزز الانطباع لدى القارئ بأن هناك قوى خارقة تعمل وراء الأحداث، وتصديق الراوي للحادثة وقناعته بها يجعلان القارئ يقر بمصداقيتها رغم غرابتها.

٢- العجائبية في رحلة المسعودي:

من أعجب ما رواه المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، ما قاله عن (جواري قبر حاتم الطائي) إذ يقول: "عن يمين قبره أربع جوار من حجارة، وعلى يساره أربع أخريات، كلهن ذوات شعر منشور، ومتحجرات على قبره كأنهن نائحات عليه، لم ير مثل بياض أجسامهن وجمالهن، مثلهن الجنّ على قبره، والجواري بالنهار كما وصفنا، ولكن إذا جاء الليل ارتفع أصوات الجن بالنياحة عليه، فإذا طلع الفجر سكتن" وقد عزا المسعودي ما رواه ليحيى بن عقاب، وما يجعل الحكاية تنتج محكيًّا متراكبًا بين الواقعية والعجائبية، أنه يقدم للمتلقي أحداثًا تقوم على الإيهام بواقعية ما يقول، إذ يستقطب حاتم الطائي بوصفها شخصية مرجعية لها شهرتها في الأوساط الأدبية لينسج حوله عوالم سحرية وفوق طبيعية، وقد جمع المسعودي في روايته بين المفاتن (الجواري)، وبين المخيف (ارتفاع صوت النائحات)، وذلك لإدهاش المتلقي وجذبه لأحابيل السرد. ([2])

---

[1]) علاوي الخامسة: العجائبية في أدب الرحلات: رحلة ابن فضلان نموذجا، رسالة ماجستير، كلية اللغات والآداب، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ١٣٥.، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٥٨.

[2]) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤، ج ٢، ص ١٦٢.

ويمكن توضيح مظاهر العجائبية في النص السابق كما يلي:

- الجواري الحجريات: تصوير الجواري على أنهن تماثيل حجرية ذات جمال فائق وشعر منشور، يشكل مزيجًا بين الجمال والرعب ما يخلق عنصرًا عجائبيًا قويًا.
- الحركة الليلية: إحياء الجواري ليلًا وارتفاع أصوات الجن بالنياحة، يعزز العنصر الخيالي ويدفع المتلقي للتساؤل حول حقيقة هذه الأحداث.
- الشخصية المرجعية: استخدام حاتم الطائي بوصفها معروفة يضفي مصداقية على القصة، ويجعل التداخل بين الواقع والخيال أكثر تأثيرًا.
- الإيهام بالواقعية: تقديم الأحداث بواقعية تجعل المتلقي يشعر بأنها ممكنة الحدوث ما يعمق تأثير العجائبية في النص.
- الجمع بين الفاتن والمخيف: الجمع بين الجمال المتمثل في الجواري، والرعب المتمثل في نواح الجن، يخلق توازنًا بين الجذب والإثارة ويجعل النص أكثر تشويقًا.

وقد اشتملت رحلات المسعودي على بعض الأحداث العجائبية المتعلقة بالأنثروبولوجيا، ومنها الغريب من عادات أهل الهند؛ إذ روى أن الرجل منهم إذا عزم أن يحرق نفسه، استأذن الملك أولًا، ثم خرج إلى الأسواق يمر بين الناس وعلى رأسه الجمر والكبريت والسندروس وهو مادة صمغية، ويسير وهامته تحترق، ورائحة تفوح، وإذا اقترب من النار المعدة ليرمي نفسه فيها أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أخذ قطعة من كبده بيده وقطعها بالخنجر، ويدفعها لبعض إخوانه تهاونًا بالموت ولذة بالنقلة، ثم يلقي بنفسه في النار. ([1]) إن أحداثًا كهذه لا بد أنها تدفع إلى الريبة والشك، وتزرع الخوف والهلع لدى المتلقي، الذي يكون في حيرة تامة بين التصديق أو التكذيب، لولا أن الراوي أكد حضوره للمشهد وكتب تاريخه ومكان حدوثه.

وتتجلى مظاهر العجائبية في نص المسعودي من خلال وصفه لعادات غريبة وغير مألوفة لدى أهل الهند، والتي تبدو مدهشة ومرعبة للقارئ عند قراءتها، وتتضمن هذه المظاهر:

- الاستئذان لحرق النفس، وهي عادة غريبة أن يستأذن الشخص الملك قبل أن يحرق نفسه، فهذا الفعل بحد ذاته يعد غير مألوف ويثير الدهشة؛ إذ إن الإنسان يسعى عادة للحفاظ على حياته وليس لإنهائها بهذه الطريقة العجيبة.
- السير في الأسواق مع اشتعال النار على رأسه: يصف المسعودي حال سير الرجل في الأسواق وعلى رأسه الجمر والكبريت والسندروس، والنار مشتعلة في هامته، فهذا المشهد يجمع بين الألم الشديد والتحمل غير الطبيعي ما يجعله عجيبًا وغير قابل للتصديق بسهولة.
- شق الصدر وانتزاع قطعة من الكبد: قبل أن يلقي بنفسه في النار، يقوم الرجل بشق صدره وانتزاع قطعة من كبده وتقديمها لأحد إخوانه، وهذا الفعل العجائبي يتجاوز حدود القدرة البشرية المعروفة، ويصور مستوى من التحكم بالألم والتحمل لا يمكن للإنسان العادي أن يتحمله.
- الإلقاء بالنفس في النار: بعد أن يقوم الرجل بتلك الأعمال المروعة يلقي الرجل بنفسه في النار، وهذا الفعل النهائي يضيف إلى النص طابعًا مروعًا ومثيرًا للرعب ويتجاوز الحدود المنطقية والواقعية للعقل البشري.

[1]) المسعودي: المرجع السابق، ص ٢١١

٣-العجائبية في رحلة ابن فضلان

سجل ابن فضلان رحلاته في أوائل القرن الرابع الهجري، في رسالة تضمنت مشاهداته وانطباعاته، وما جمعه من معلومات عن الشعوب التي زارها لاسيما البلغار، وما بلغ علمه عن عاداتهم وتقاليدهم، وكذلك معتقداتهم، إذ رآهم يتبرّكون بعواء الكلب، ويقولون إنها تعني قدوم سنة خصبة وبركة وسلامة، وإذا وقعت صاعقة في دار أحدهم اعتقدوا أنه مغضوب عليه فلم يقربوه وتركوه حتى يتلفه الزمان. ومن أهم الأمور التي تحدث عنها ابن فضلان أنهم يجمعون صلاة المغرب والعشاء بسبب قصر الليل قصرًا مفرطًا؛ لأن الفجر يطلع عندهم بعد صلاة العشاء بوقت بسيط ([١]).

وتتجلى مظاهر العجائبية في النص من خلال ما يلي:

- تبرك البلغار بعواء الكلب؛ وهذه العادة تبدو غريبة جدًا بالنسبة للعرب الذين يعدون الكلب نجسًا، وعليه، فإنّ ربط هذه العادة بقدوم سنة خصب وبركة يثير الدهشة والاستغراب، كما أن هذا الاعتقاد العجائبي يعكس مدى تأثر شعب البلغار بالطبيعة وعلاقتهم الوثيقة بها، ويضفي عنصرًا من الغرابة على معتقداتهم الدينية والشعبية.
- اعتقادهم بأن الصاعقة دليل غضب إلهي؛ وهذا الاعتقاد شائع في العديد من الثقافات، ولكن الطريقة التي يعبرون بها عن هذا الاعتقاد وهي ترك الشخص المصاب بالصاعقة حتى يتلفه الزمان تبدو قاسية وغير مألوفة بين الشعوب، كما أنّ هذا التصور العجائبي يرتبط بالخوف من الظواهر الطبيعية ومحاولة تفسيرها بطرق خرافية.
- جمع صلاة المغرب والعشاء؛ وقد نتج هذا المظهر العجائبي من الظروف المناخية التي يعيشون فيها وذلك بسبب طول النهار وقصر الليل بشكل كبير في تلك المنطقة الجغرافية، وهذا التصرف يعكس طبيعة زمانية ومكانية غير مألوفة ما يضفي طابع العجائبية على النص؛ إذ إنّ التصور القائم على أن الليل قصير جدًا لدرجة أن الفجر يطلع مباشرة بعد صلاة العشاء يجعل القارئ يشعر بغرابة الوضع.

4- العجائبية في رحلة ماركو بولو

سجل ماركو بولو رحلاته في أواخر القرن الثالث عشر، حيث سافر عبر آسيا والصين، وقدم وصفًا لما شاهده من غرائب وعجائب أثناء رحلته. من أبرز الأمور التي تحدث عنها في كتابه "رحلة ماركو بولو"، كانت الحيوانات الغريبة التي شاهدها في الصين، مثل الفيلة والوحوش البحرية، وكذلك الحياة الاجتماعية التي كانت تختلف عن الحياة الأوروبية بشكل كبير. كما تحدث عن الطرق التجارية العائمة في الصين والتي كانت تمثل ظاهرة غريبة بالنسبة له، بما في ذلك المجتمعات التجارية التي كانت تقوم ببيع وشراء السلع عبر القوارب ([٢]).
وتتجلى مظاهر العجائبية في النص من خلال ما يلي:

- الحيوانات الغريبة مثل الفيلة والوحوش البحرية، إذ كانت هذه الحيوانات تمثل رموزًا للعجائبية في ذهن ماركو بولو، حيث كانت غريبة جدًا بالنسبة للمفاهيم الأوروبية عن الحيوانات
- الطرق التجارية العائمة، والتي كانت مظهرًا غير مألوف بالنسبة للغرب في ذلك الوقت، حيث تمثل وسائل التجارة عبر القوارب عنصرًا من الغرابة الذي يعكس الاختلافات الثقافية بين الشرق والغرب

[١]) علاوي الخامسة: العجائبية في أدب الرحلات، ص ١٨٨.

[2] (Mareo Polo, The Book of Marco Polo, (ed. E. Yule), London 1927

- الظروف الاجتماعية الفريدة، مثل وجود مدن كاملة في الصين مبنية على النظام البيروقراطي المتقدم، وهو أمر كان يبدو غريبًا بالنسبة للعقل الأوروبي في ذلك الوقت، حيث كان ماركو بولو يصف تلك المجتمعات كما لو أنها جزء من عالم خيالي.

5- العجائبية في رحلة كريستوفر كولومبوس

سجل كريستوفر كولومبوس رحلاته في أواخر القرن الخامس عشر في مذكراته عن اكتشاف العالم الجديد .في رحلاته إلى أمريكا الوسطى والكاريبي، وثّق العديد من الظواهر التي كانت غريبة تمامًا بالنسبة له ولأوروبا. من بين أكثر الأشياء التي أثارت دهشته كانت الهنود الحمر الذين قابلهم في تلك الأراضي، وكذلك الحيوانات والنباتات التي كانت لا تصدق في نظره. كما ذكر كيف كانت الثروات الطبيعية في تلك المناطق تثير إعجابه وتجعله يعتقد أنه قد اكتشف جنة جديدة ([1]).
وتتجلى مظاهر العجائبية في النص من خلال ما يلي

- الهنود الحمر الذين قابلهم كولومبوس، حيث وصفهم كمجموعة غريبة وغير متحضرة مقارنة بالمعايير الأوروبية، وكانت هذه الأوصاف تعكس العنصرية الاستعمارية التي ربطت الغرب بالقوة والتحضر.
- الحيوانات والنباتات الغريبة التي رآها في الأمريكيتين، مثل الطائر الطنان والسلحفاة العملاقة، التي كانت تعد بمثابة عجائب طبيعية، حيث كانت تلك الكائنات غير معروفة في أوروبا وقتها.
- الثروات الطبيعية الهائلة في العالم الجديد، مثل الذهب والفضة، والتي وصفها كولومبوس بأنها أرض مباركة ومليئة بالمعجزات، مما أضاف عنصرًا من المبالغة في السرد، وجعل الرحلة تبدو وكأنها اكتشاف جنة مفقودة.

6- العجائبية في رحلة هرنان كورتيز:

كان كورتيز مستكشفًا إسبانيًا وقائدًا لحملة الغزو الإسباني للإمبراطورية الأزتكية في المكسيك في القرن السادس عشر. كانت رحلته الأولى تهدف إلى استكشاف الأراضي الجديدة وتوسيع النفوذ الإسباني في أمريكا الوسطى. بدأ كورتيز رحلته في عام ١٥١٩، حيث قاد مجموعة من الجنود الإسبان في رحلة شاقة نحو المكسيك، واكتشف الإمبراطورية الأزتكية التي كانت في ذروتها تحت حكم مونتيزوما الثاني. كانت أهدافه الاستعمارية تتمثل في الاستيلاء على الثروات الطبيعية، خاصة الذهب والفضة، التي كان يتطلع إلى استغلالها لصالح إسبانيا. كما كانت مهمته نشر المسيحية والهيمنة الثقافية على الشعوب الأصلية([2]).
أثناء غزوه، سجل كورتيز العديد من العجائب التي كانت غريبة تمامًا بالنسبة له وللعديد من الأوروبيين في تلك الحقبة كالآتي:

- وصف الطقوس الدينية التي كان الأزتيك يمارسونها، مثل التضحية البشرية، وهي ممارسة كانت تبدو غريبة ومرعبة في نظره. كما تحدث عن الآلهة التي كانوا يعبدونها، مثل Quetzalcoatl وHuitzilopochtli، واصفًا إياها كأنها جزء من عالم خرافي، يعكس الفجوة الثقافية العميقة بين العالم الأوروبي و العالم الجديد.

[1] (Columbus, Christopher, and Bartolomé de Las Casas. *The Diario of Christopher Columbus's First Voyage to America, 1492-1493*. Vol. 70. University of Oklahoma Press, 1989.
[2] (Owens, Lisa L. *A Journey with Hernán Cortés*. Lerner Publications™, 2017.

- وصف المناظر الطبيعية في المكسيك بأنها مليئة بالعجائب. تحدث عن الغابات الكثيفة والأنهار التي كانت تختلف تمامًا عما كان يعرفه الأوروبيون، وكان يراها أماكن مليئة بالموارد الطبيعية الهائلة مثل الذهب والفضة، ما جعله يصور تلك الأراضي كجنة مفقودة. كل هذه التفاصيل أضافت عنصرًا من العجائبية إلى سرد كورتيز، حيث كان يدمج بين الواقع والخيال لخلق صورة جديدة عن العالم الجديد.

وقد أثر كورتيز في توسيع الاستعمار الإسباني فتقاريره ساهمت في تحفيز السلطات الإسبانية على إرسال المزيد من البعثات الاستكشافية والمستعمرين إلى المكسيك والمناطق المجاورة. كما كانت رحلاته جزءًا من تأسيس المستعمرات الإسبانية في أمريكا الوسطى، التي أصبحت فيما بعد مركزًا مهمًا للنفوذ الإسباني في العالم الجديد.

الخاتمة :

احتوت كتب الرحلات على الكثير من الأحداث والوقائع التي تتسم بالعجائبية، ذلك أن الرحالة يهدف في الأساس إلى ارتياد الآفاق واكتشاف المجهول والمغاير، وهو ما يعد جوهر العجائبي، والذي يعني تجربة أو مشاهدة شيء غير معتاد وغريب. وقد أمكن من خلال العرض السابق معرفة العناصر العجائبية في أدب الرحلة والتي تمثلت في الوصف العجائبي، والحدث العجائبي، والشخصية العجائبية، كما أمكن إلقاء الضوء على بعض ما كتبه الرحالة وخاصة فيما يتعلق بالجانب الأنثروبولوجي في رحلاتهم من خلال عرض ما سجلوه عن الإنسان وسلوكه والنسق الاجتماعي والنظم الثقافية المتباينة باختلاف الأقاليم والمناطق الجغرافية المختلفة. وأظهرت الدراسة أن للهوية الثقافية والدينية للرحالة تأثير كبير في تشكيل رؤيتهم عن الآخر سواء الرحالة العرب الذين انطلقوا في رحلاتهم لأغراض دينية أو تجاوية، أو الرحالة الغربيين الذين كان هدفهم التجارة والتوسع الاستعماري في العالم الجديد. وأمكن من خلال الدراسة التوصل إلى النتائج التالية:

النتائج

- تنوعت مجالات العجائبي عند الرحالة، إذ تم توظيف الظواهر العجائبية التي يشهدونها في رحلاتهم بوصفها أحد العناصر الفنية التي استعملوها لأغراض جمالية، فنجد الحدث العجائبي، والوصف العجائبي، والشخصية العجائبية في أغلب الرحلات التي قامو بها فكان الرحالة الغربيون، مثل ماركو بولو وكريستوفر كولومبوس يستخدمون العجائبية في سردهم لأثارة الفضول حول العالم الجديد.

- تعد كتابات الرحالة موردًا غنيًا للباحثين في علم الأنثروبولوجيا، إذ إنّ الرحالة تمكنوا من تسجيل كثير من الأحداث في المجتمعات والثقافات المختلفة، وسجلوا كل ما شاهدوه من الغرائب والعجائب. وتتجلى في الكتابات العربية التي تهتم بدراسة الإنسان وسلوكه، وفي الكتابات الغربية التي سعت لفتح طرق تجارية جديدة واستعمارية مما أثر في شل الآخر.

- يتميز أدب الرحلات بقدرته الفنية على نسج خيوط الواقع بالخرافة والعجائبية في منسوجة سلسة؛ فالرحالة ماهرون في تحويل المشاهد العادية إلى لوحات فنية ساحرة لأنهم يقومون بخلط الحقيقة بالخيال في توليفة تجذب القارئ وتثير دهشته.

- يؤدي الوصف دورًا أساسيًا في أدب الرحلات؛ إذ يمتاز بالدقة والأسلوب الأدبي الرفيع. حتى وإن كانت الأشياء الموصوفة واقعية، فإن الرحالة بمهارتهم يجعلونها تبدو غير مألوفة

وعجائبية، فالوصف هنا ليس مجرد نقل للمعلومات، بل هو وسيلة لنقل التجربة الحسية والعاطفية للقارئ، وكأنه يعيش الرحلة بنفسه وهذا المزيج من الواقع والخيال يجعل الوصف أكثر جاذبية، ويخلق لدى القارئ فضولاً لاكتشاف المزيد.

- تختلف الشخصيات في أدب الرحلات عن الشخصيات في الفنون السردية الأخرى؛ لأنها تمتاز بالواقعية والتعدد وتظهر حسب الأماكن التي يزورها الرحالة، وفي كثير من الأحيان، تكون شخصية الرحالة امتدادًا لشخصية الكاتب؛ إذ يعكس تجاربه وأفكاره ومعارفه عن العالم في الأدب، فضلًا عن كونها شخصيات مرنة تتأثر بالبيئات والثقافات المختلفة، وتتفاعل معها بشكل مباشر وهذا ما يجعلها أكثر تعقيدًا وعمقًا.

- تتسم أحداث الرحلات بالتسلسل الزمني وتضم كثيرًا من الأحداث الغريبة والعجيبة؛ فالرحالة يذكرون الأساطير والعادات الغريبة للشعوب؛ إذ تضفي هذه الأحداث العجائبية بعدًا جماليًا وتجذب انتباه المتلقي، كما أنها تعكس الرغبة الإنسانية في استكشاف المجهول وتجاوز الحدود ما يولد شعورًا بالدهشة والإعجاب لدى القارئ. بينما ربط الرحالة الغربيون رحلاتهم العجائبية بوصفهم لموارد كثيرة ومجتمعات غريبة تقدم الآخر بقالب مثير للفضول.

- كان الرحالة المسلمون من أوائل من دونوا الملاحظات الأنثروبولوجية حول الشعوب المختلفة؛ فقد تضمنت كتبهم أوصافًا تفصيلية لعادات وتقاليد المجتمعات التي زاروها، وغالبًا ما أضافوا الطابع العجائبي لهذه الأوصاف، وقد شكلت هذه الملاحظات أساسًا لدراسة الأنثروبولوجيا الحديثة في السرد؛ إذ قدمت رؤى قيمة عن تنوع الثقافات البشرية وتفاعلها مع بعضها بعضًا. بينما الرحالة الغربيون وخاصة في القرن الخامس عشر والسادس عشر دكزوا في استكشاف الأراضي الجديدة وعرض المجتمعات ككائنات غريبة مختلفة عنهم مما عزز من الهوية الاستعمارية في أدبهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، المكتبة العصرية، بيروت.

٢. ابن منظور: لسان العرب، مج١، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه.

٣. أبو الحسن محمد أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، ١٩٨٩م.

٤. أنيس منصور: حول العالم في ٢٠٠ يوم، ط ٨، دار نهضة مصر، ٢٠١٨.

٥. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤.

ثانيا: المراجع

١. تود وروف(تزفتان) : مدخل إلى الأدب لعجائبي، ترجمة الصديق بو علام، ط١، دار الكلام، المغرب، ١٩٩٣.

٢. علام(حسين) : العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠.

٣. مجاهدي(زوليجة) : ملامح الأنثروبولوجية الاجتماعية والدينية في أدب الرحلة، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج ١٦، ع٢، ٢٠٢٠م.

٤. بوحسون(العربي) : رحلات ابن بطوطة، وغرائب مشاهداته- نموذج لفكر أنثروبولوجي إسلامي، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مج ١١، ع ١.

٥. الخامسة(علاوي) : العجائبية في أدب الرحلات: رحلة ابن فضلان نموذجا، رسالة ماجستير، كلية اللغات والآداب، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٥.

٦. قنديل(فؤاد) : أدب الرحلة في التراث العربي، ط ٢، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.

٧. بودوخة(مسعود) : الملمح العجائبي في أدب الرحلات، مجلة الاستهلال، المغرب، ع ١٠، ٢٠١٦م.

8. Hulme, Peter, and Tim Youngs, eds. The Cambridge companion to travel writing. Vol. 10. Cambridge University Press, 2002. (p.21-28)

9. Mareo Polo, The Book of Marco Polo, (ed. E. Yule), London 1927

10. Pratt, Mary Louise. Imperial eyes: Travel writing and transculturation. routledge, 2007.

11. Owens, Lisa L. *A Journey with Hernán Cortés*. Lerner Publications™, 2017